لِتَحْيَ الصَّدَاقَةُ

كَانَتِ الْقِطَّةُ «بِتْسِي»، وَالْكَلْبُ «بَنْشْ»، عَدُوَّيْنِ لَدُودَيْنِ: لَا يَرَاهُمَا أَحَدٌ إِلَّا طَارِدًا أَوْ مَطْرُودًا. وَكَانَ صَاحِبُهُمَا يَعْرِفُ أَنَّ تِلْكَ الْعَداوَةَ قَدِيمَةٌ لَا يَمْحُوهَا الزَّمَنُ، لِأَنَّهَا عداوَةٌ تَقْلِيدِيَّةٌ، مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ.

وَذَاتَ يَوْمٍ كانَ «بَنْشُ»، مُقَيَّدًا في سِلْسِلَةٍ وَجَاءَ صَاحِبُهُ وَتَرَكَ عَرَبَةً صغيرةً إِلَى جِوارِهِ؛ فَأَخَذَ يَدُورُ حَوْلَهَا، وَهُوَ لا يَدْرِي أَنَّ السِّلْسِلَةَ تَضِيقُ حَوْلَ عُنُقِهِ، حَتَّى كَادَتْ تَخْنُقُهُ؛ فَحاوَلَ عَبَثًا أَنْ يُخَلِّصَ رَقَبَتَهُ مِنْهَا فَلَمْ يَسْتَطِعْ وَآلَمَتْهُ كَثِيرًا تِلْكَ الْمُحاوَلاتُ، فَأَخَذَ يَئِنُّ، وَلَا يَسْمَعُ أَنِينَهُ إِلَّا الْقِطَّةُ «بِتْسِي»، الَّتِي كَانَتْ تُراقِبُهُ.

نَظَرَ إِلَيْهَا «بَنْشُ»، وَاسْتَعْطَفَهَا قَائِلاً: أَنْقِذِينِي يَا «بِتْسِي»، فَإِنِّي أَكَادُ أَمُوتُ.. إِنَّ السِّلْسِلَةَ تَخْنُقُنِي. وَجَرَتْ «بِتْسِي»، إِلَى الْبَيْتِ، فَدَخَلَتْ عَلَى سَيِّدَتِهَا؛ وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ حَتَّى لَفَتَتْ نَظَرَ سَيِّدَتِهَا؛ وَأَدْرَكَتْ أَنَّ الْقِطَّةَ تُرِيدُ شَيْئًا؛ فَسَارَتْ وَرَاءَهَا، حَتَّى بَلَغَتْ مَكَانَ الْكَلْبِ.

خَلَّصَتِ السَّيِّدَةُ الْكَلْبَ مِنْ وَرْطَتِهِ، وَأَطْلَقَتْ سَرَاحَهُ. فَجَرَتِ الْقِطَّةُ إِلَى سُورٍ، وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ خَوْفًا مِنْ «بَنْشُ»، كَعَادَتِهَا. فَقَالَ لَهَا «بنْشُ» شُكْرًا لَكِ يا «بِتْسِي»، ... يُمْكِنُكِ أَنْ تَنْزِلِي. فَلَنْ أُطَارِدَكِ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا غَيْرَ أَنَّ «بِتْسِي» لَمْ تَثِقْ بِهِ، فَظَلَّتْ فِي مَكَانِهَا لَا تَبْرَحُه.

ثُمَّ اخْتَفَتْ وَلَمْ تَظْهَرْ بَعْدَ ذَلِكَ طَوَالَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ وَفِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ، بَيْنَمَا كَانَتْ تُنَظِّفُ فَرْوَتَها فِي الشَّمْسِ، وَجَدَتْ «بَنْشَ» يَقِفُ فِي جِوَارِهَا. وَهَمَّتْ أَنْ تَجْرِيَ، فَقَالَ لَهَا: لَا تَخَافِي، لَوْ كُنْتُ أُرِيدُ مُطارَدَتكِ لَفَاجَأْتُكِ.. أَيْنَ كُنْتِ خِلالَ الْأَيَّامِ الْمَاضِيةِ؟

قالَتِ الْقِطَّةُ: لَقَدْ وَضَعْتُ ثَلاثَةَ قِطاطٍ صَغِيرَةٍ، وَأَخْشَى عَلَيْهَا مِنْ وَلَدَي صَاحِبِنَا.. إِنَّهُمَا وَلَدَانِ لَطِيفَانِ، وَلَكِنَّهُمَا يُحِبَّانِ اللَّعِبَ بِصِغَارِي، وَأَخْشَى أَنْ يُؤَدِّيَ ذَلِكَ إِلى إِيذَائِهَا. قَالَ «بَنْشُ»: إِنِّي أَعْرِفُ لَكِ وَلِصِغَارِكِ مَكَانًا آمِنًا. لا يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِفَهُ الْوَلَدَانِ.

قَالَتِ الْقِطَّةُ: لَقَدْ وَضَعْتُ الصِّغَارَ فِي الْحَظِيرَةِ، وَلَكِنَّهُمَا عَرَفَا مَكَانَهُمْ وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ لا يُمْكِنُ أَنْ يَمْتَنِعَ عَلَيْهِمَا مَكَانٌ مَا فِي الْمَزْرَعَةِ. قَالَ «بَنْشُ»: إِنَّ بَيْتِي هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي لا يُمْكِنُ أَنْ يُفَكِّرَ الْوَلَدَانِ أَنَّ صِغَارَكِ فِيهِ؛ فَهُمَا يَعْرِفَانِ أَنَّنَا عَدُوّانِ. وَاسْتَحْسَنَتْ «بِتْسِي» الْفِكْرَةَ، وَفِي اللَّيْلِ نَقَلَتْ صِغَارَهَا إِلَى بَيْتِ الْكَلْبِ.